المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

منهج القرآن الكريم في عرض الشخصية الباغية ومواجهتها "قارون انموذجا"

الدكتور رياض مفضي الشرعه
وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية - الأردن
E-mail: reiadshraah@gmail.com

الملخص:
تعدّ قصة قارون في القرآن الكريم من القصص التي أوضحت معالم الشخصية الباغية التي اعتزت بقيم المال، واغترت بالدنيا وزهرتها، فجاء القرآن الكريم يفصل نواحيها ، ويبين معالمها، ويؤكد على المنهجية الربانية في التعامل مع هذه الشخصية؛ لأنه أنموذج يتكرر في الوجود البشري، ومعالم الحضارات.
وتعدّ هذه القصة من القصص التاريخي الذي يعكس التصور القيمي للنفسية الملتوية التي تجردت من عقيدتها، وأصول إيمانها، وتقدم فكراً ينكر الحق، ويستعلي على الخالق، ويوظف الوجود الاقتصادي والاجتماعي لمحاربة الإصلاح، واظهار الفساد .
وتوضح هذه القصة كذلك منهج المؤمنين ووسائلهم في التعامل مع هذه الشخصية؛ وذلك بوجود مجتمع حضاري يحارب المادية المتجبرة بالبغي، والمستعلية بالكبر، ضمن رؤية علماء ربانيين منهجهم الحق والبينة من الله، والدراية الواعية لمكامن الهداية.
وأسست كذلك لمنهج القرآن الكريم في بيان السنن الإلهية في نهاية الباغين المتجبرين.
وتضمن هذا البحث مقدمة، وثلاثة مباحث، ناقش الباحث في المبحث الأول مفهوم الشخصية الباغية، والألفاظ ذات الصلة وأضدادها, ثم تطرّق المبحث الثاني إلى شخصية قارون في القصة القرآنية، بينما ناقش المبحث الثالث منهج القرآن الكريم في مواجهة الشخصية الباغية عبر خمسة محاور أصلت لفهم القرآن الكريم عبر الآيات لمواجهة البغي وألوانه. وخاتمة تضمنت أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: قارون ، الطغيان الشخصية الباغية، أساليب المواجهة ،التكبر

Abstract:
The story of Qaron in the Holy Qur'an is one of the stories that illustrated the features of the tyrannical character who cherished the values of money, and was tempted by the worldly life and its splendour. The Qur'an came out detailing its aspects and illustrating its features. It emphasizes the methodology of the Lord in dealing with this character; because it is a model that repeats itself through human existence, and milestones of civilizations. This story is a historical story that reflects the values of the twisted psyche that has been stripped of its doctrine and origins of its faith, and presents an idea that denies the truth, supersedes the Creator, and employs the economic and social presence to fight reform and show corruption. This story also illustrates the approach of believers and their means in

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

dealing with this character in the presence of a civilized society that fights the tyrannical materialism, within the vision of the faithful scholars whose approach is derived from Allah, and the conscious knowledge of the guidance. It also established the method of the Holy Qur'an in the statement of the Divine norms at the end of the tyrannical arrogant.

The present paper included an introduction and three topics. Firstly the researcher displayed the concept of diactors, and related words and opposites. Then the researcher discussed the personality building in the Quranic story- Qaron as a model- as the second topic. The last topic handled the Quranic approach of confronting the tyrannical character by means of five axes that have established a fundamental origin of understanding the Holy Quran through Quranicverses to encounter tyranny in all its types. The research also included a conclusion.

Keywords: Qaron, tyranny, aggresive personality, Method of confrontation, arrogance

المقدمة

القرآن الكريم يحمل في طياته عناوين ترسم منهجاً ربانياً لمحاربة الإفساد والمفسدين ، وكذلك يؤسس لأمة متكاملة العناصر، متوافرة الميزات تستعصي على عوامل الهدم، بما يملك هذا القرآن من أصول نظرية، وخصائص حيويّة تعزز روح المسؤولية في مواجهة المشكلات، فالقرآن يملك لغة مؤثرة، وطاقة هائلة تمحق الباطل وأهله، وتنهي الظلم وجبروته.

والقرآن الكريم يستخدم القصة لصناعة تربية متكاملة العناصر في الروح والجسد والعقل، بكافة الوسائل التي تؤدي حضوراً قيميّاً في بناء شخصية المؤمن فتستخدم الحوار، والسرد، ورسم الشخوص بطريقة دقيقة توحي بالانسجام بين القارئ والنص المقروء؛ فهناك حياة واقعية مع النص، لها أثر وتجريد خالي من الموانع، وتصنع مثالية واقعية حافلة بالاطمئنان مع القرآن وقصصه.

ونحن أمام شخصية لها في التاريخ وجود مادي ومعنوي مثلت دور البغي والتعدي، فأسست لفكرٍ عابث مستطيل على الآخرين محارب لمنهج الله، هذه الشخصية صاغت وجودها الاجتماعي ضمن إطار الزينة والمال، والتجبر والاستعلاء، والاعتزاز بالقيم المادية، فكانت مثلاً في تاريخ البشرية للنمط المادي الظالم الذي أنهى الله وجوده بالخسف وجعل ذكره درساً وعبرة.

قال تعالى:(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿76﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿77﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿78﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿79﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا مَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿80﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿81﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿82﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿83﴾) سورة القصص: 76-83

وينصرف في شخصية قارون هذا التشبيه مع المنافقين الذين كانوا يعيشون في المجتمع النبوي فكانت لهم خيانات قد قصَّ القرآن الكريم طرفاً منها في سورة التوبة[1]، وسميت سورة باسمهم وهي سورة المنافقين.

والقرابة التي كانت تصل قارون بموسى تستدعي المودة والرحمة، لأن آصرة الدم لها منزلة وعنوان في قيم المجتمعات التي تتجلّى فيها الشهامة والمروءة والنجدة لكلِّ ذي رحم وقرابة، وقد حصل للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم – الشر ذاته مع قرابته أبي جهل وأبي لهب وغيرهم من صناديد قريش، فجاءت تسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - وبناء مواجهة لهذه المعاول الهدّامة، والشخصيات الظالمة التي تحاول أن تفتّ في عضد الأمة، وتنال من عزتها، فالآيات الكريمة احتضنت في طياتها وسائل المواجهة لخطر الشخصيات الطاغية عبر الزمان والمكان، وما جاءت هذه الآيات في ثنايا القرآن الكريم إلّا لتحدد التوجيه للأمة المسلمة لمواجهة هذا الخط الكانز المستكثر بماله الذي يحاول أن يستميل الغوغاء، ويستعلي على المؤمنين.

وهذه القصة حملت في ثناياها دلائل وعبر يحتاجها المصلحون، وأساتذة التربية، والتوجيه في المجتمع، وأسست كذلك لمجتمع المواجهة الذي فيه قيم الإصلاح والمعرفة والتنوير؛ لمحاربة الفساد والمفسدين.

وعمقت حاجة البشر للعلماء العارفين، وخصائصهم، والمنهج الكلي الذي ينطلق منه العالم في التوجيه، وإدارة الأزمات، وبناء المجتمعات الفاضلة التي تقوم على الإيمان بالله والعمل الصالح والصبر.

ورسخت كذلك القصة بعبرها، ودلائلها التوجيه الإلهي بعد هذه التجربة مع شخصية متكبرة باغية، تمتلك جميع أسباب الثراء والعلو والكفر الاجتماعي (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) سورة القصص الآية 83، فالعاقبة لمجتمع التقوى والفضيلة الذي خلا من الفساد والمفسدين، وعاش بأدب التواضع لله، ولم يستطل على الناس بقليل ولا كثير.

أهمية الدراسة:

تناقش هذه الدراسة المنهج القرآني بقواعده الحسيّة والمعنوية التي توضح التعامل مع الشخصية الباغية وبيان أثارها السلبية على المجتمع.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما المنهج الذي استخدمه القرآن الكريم في بيان الشخصيات الباغية وأساليب مواجهتها.
2. ما التأثير الذي أحدثه القرآن الكريم في التأصيل والتقعيد لمواجهة أصحاب الفكر المنحرف.

أهداف الدراسة:

[1] ينظر سورة التوبة من الآية 43 - 68

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

1. الكشف عن منهج القرآن الكريم في بيان التصوير الحسي والمعنوي للشخصية الباغية وأساليب مواجهتها.
2. استقراء الآيات القرآنية ذات الدلالة المباشرة والغير مباشرة التي تتناول الشخصية الباغية من خلال قصة قارون.

الدراسات السابقة:

لم أجد أثناء المطالعة والقراءة دراسات سابقة تلقي الضوء على هذه الجزئية التي تم مناقشتها (الشخصية الباغية).

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج التحليلي في دراسته للشخصية للكشف عن معالم الدرس القرآني في توجيه النص لاستثماره في الواقع المعيش ومحاولة استبطان الدلائل لقيمة الكلمة القرآنية ، والوقوف على اسرار القصة القرآنية.

المبحث الأول: مفهوم الشخصية الباغية، والألفاظ ذات الصلة وأضدادها

المطلب الأول: مفهوم الشخصية لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف الشخصية لغة

وردت لفظة شخص في المعجمات دالة على الإنسان، ذكر الأزهري في تهذيبه: الشخص سواد الإنسان، إذا رأيته من بعيد، وكل شيء رأيت جسمه فقد رأيت شخصه، ويجمع على شخوص، وأشخاص[1]. واستخدمت هذه المفردة في النظر الذي لا يطرف[2]، قال تعالى (شاخصةً أبصارهم) سورة الانبياء الآية 97، والسهم إذا نفذ، والجامع المشترك بين هذه المعاني لمفردة شخص هو دلالة الحضور الذي يبعث على الاهتمام.

ثانيا: تعريف الشخصية اصطلاحاً

تعددت التعاريف لمصطلح الشخصية؛ وذلك لتعدد جوانب الشخصية من جسمي وعقلي وروحي، فكل أحد يتناول الشخصية من الجانب الذي يهتم به، ويودّ مناقشته.

"ويمكن أن تعرف على انها الذّات المخصوصة والحقيقية المعيّنة في نفسها تعيّناً يميّزها عن غيرها"[3]

نَخلصُ من هذا التعريف أن الشخصية وجود منفرد ومفروض، مدرك لأفعاله ومسؤول عنها، الذي يتميّز بالعقل والاختيار، ويتسم بالمشاركة الوجدانية، وكلّ هذه المسائل من اختيار ووجدان وعقل تتفاعل لتشكل وحدة شديدة التعقيد بين مكوني الجسد والروح مع التأكيد على البيئة الطبيعية والاجتماعية في بناء هذه المنظومة المتكاملة في بناء الشخصية منذ الولادة وحتى الموت[4].

ثالثاً: البغي

[1] الأزهري، معجم تهذيب اللغة, ج2، ص 1840
[2] ينظر الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، ص 447
[3] سعد أحمد ، نحو نظريّة إسلامية في الشخصيّة، ص 26
[4] ينظر عدنان مصطفى الشويات، آمنه خطاطبة، مقومات الشخصية الإسلامية المعاصرة في فكر مالك بن نبي وتطبيقاتها التربوية، ص 64

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

هو التعدي، والعدول عن الحق، والاستطالة على الناس والكبر عليهم وتعدى أيضاً الى الظلم والفساد، ومجاوزة الحد[1]. وقد ذكر البغي في القرآن الكريم على سبيل الذّم، وأنه من شنيع الأفعال ومستَقبحها، قال الله تعالى في الآيات الآتية:

(قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والبغي بغير الحق) سورة الاعراف الآية 33.

(ولا تبغوا عليهنّ سبيلا) سورة النساء الآية 34.

(خصمان بغى بعضنا على بعض) سورة ص الآية 22.

(والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) سورة الشورى الآية 39.

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) سورة النحل الآية 90

وعند العودة الى كتب التفسير نجد أن هذه الكلمة تدور حول مجاوزة الحد، وإلى الظلم والحقد والتعدي[2] سواء على الخلق في الدماء والأموال و الأعراض أو أيّاً من المنهيات التي نهى الله عنها[3]، فالرابط الموضوعي لهذه المعاني التي وردت في القرآن الكريم بسياقاتها المختلفة تعطي تصوراً لآفة البغي، وما احتوت عليه من عظيم الجرم، وأثر ذلك على الإنسان، فأوضح القرآن معالمه وبيّن وسائل علاجه، وإنهاء وجوده.

رابعاً: تعريف الشخصية الباغية

ويمكن أن تعرّف الشخصية الباغية بأنها ذلك النموذج العدواني الذي تجاوز الحد ظلماً واستطالةً على الآخرين، سواءً كان بالمال تكبّراً أم بالاعتداء على حرمة الدماء والأعراض.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة وأضدادها

وعند التأمل في فواصل سورة القصص، السورة التي أبرزت قصة قارون، نجد خمساً وعشرين موطناً تتحدث عن الفساد مثل: الظلم والإجرام، والكفر والفسق والجهل والقبح، والإشراك بالله، والخطأ، والقتل وغيره، إذ تُبيّن للمؤمن عناوين الفساد ووسائله، وتوضح كذلك عن شخصية قارون ومعالم منهجه في دلالة الفساد العام. وهذه هي أدوات أهل الفساد في كل زمان ومكان، وفي الوقت ذاته توضح للمؤمنين وسائل محاربتها، والنيل منها عبر مماثلة هذا العدد من فواصل الآيات التي تتحدث عن سُبُل المواجهة، مثل: المؤمنين، الصالحين، المصلحين، الآمنين، الغالبين، الشاهدين، المفلحين، الصابرين، المهتدين، الصادقين، والناصحين، وهذه هي أوصاف أهل الخير والمصلحين في كل زمان ومكان لمواجهة الفساد وأهله. وقارون عندما وصف بهذا الوصف العام لا بد أنه تأكد تأكداً واقعيا على الآفات التي نشرها، والمصائب التي فعلها، من قتل واستباحة للحرمات واستخدام أدوات الفساد في مواجهة الخير وأهله؛ لذلك أبرز القرآن في وعظ الناصحين له من قومه (ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) سورة القصص الآية 77.

والله سبحانه وتعالى يختار من نفوس المنحرفين اللقطة التي تصوّر سواد قلوبهم، وسوء انحرافهم، كوسيلة قوية تنّفر من أفعالهم، والاعتبار بمصائرهم، وهذا الأمر منطقيٌ مع أهدافه التي يودّ القرآن تحقيقها[4]

[1] ينظر ابن منظور محمد بن مكرم، باب الواو والياء من المعتل، فصل الباء، ص 96-97
[2] ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 596
[3] ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن, ج12، ص 415-416
[4] ينظر محمد قطب، منهج التربية الاسلامية، ج1، ص 196

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

المبحث الثاني: شخصية قارون في القصة القرآنية

المطلب الأول: مواطن ذكرت فيها شخصية قارون في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم قارون أربع مرات، مرتان في سورة القصص بصورة مستقلة؛ وذلك في ثنايا القصة التي تم تناولها في هذه الدراسة. إذ قال الله تعالى:

(إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ) سورة القصص الآية 76

(قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَـٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) سورة القصص الآية 79

ومرتان في سورة العنكبوت وغافر بصورة مشتركة مع فرعون وهامان. أما ما ذكر عن قارون في سورة القصص باستقلالية دون مشاركة مع غيره؛ وذلك لأن القصة تتحدث عن عتوّه وظلمه، فأوضحت معالمه وبيّنت خصائصه الفاسدة وما انطوت عليه نفسه من آفات العتو والكبر، مع وجود المشاركة المعنوية مع فرعون الذي ذكر في بداية السورة، إذ مارس القهر للناس بقوة السلطان والجند[1]، وقارون مارس العلو بالبعد الاقتصادي، فتكامل بين فاتحة السورة وخاتمتها الاستكباران السياسي والاقتصادي فكلاهما كانا رمزاً للفساد.

وحكمة الفصل بينهما حتى تتضح معالم كل شخصية بصورة مستقلة، وتتنبه العقول البشرية لصور البغي والظلم، وأنهما ليس شيئاً واحداً، فكلاهما له دوره في الفساد، والمشترك العام بينهما هو الطغيان[2]. وقد ذكر في سورتي العنكبوت وغافر مع فرعون وهامان، قال تعالى:

(وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَـٰبِقِينَ) سورة العنكبوت الآية 39.

هذه الآية الكريمة جاءت في معرض الحديث عن دعوة موسى لصناديد الكفر وعتاة الاستكبار، الذين تجاوزوا الحد ومارسوا الاضطهاد والفجور في الأرض، رغم أن هذا الإفساد والفجور كان في بقعة محددة ضيقة؛ لكن القرآن عمّم هذا الإفساد وعظّم أمره حتى غدا مبسوطاً على الأرض جميعا[3].

وأما سورة غافر، قال الله تعالى:

(إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُواْ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ) سورة غافر الآيات 24-25.

كان المنهج العملي عند فرعون وهامان وقارون في المواجهة بالقول والفعل، حيث إنهم قتلوا أبناء أتباع موسى – عليه السلام -، واتهموا موسى بالكذب والسحر وكادوا كيداً عظيما، وهذا الفعل هو أصلاً من فرعون وأمره الذي ائتمر به الجمع، فعمّهم الله بعذابه وعقابه.

وهناك لطيفة في التقديم والتأخير، حيث إن قارون قُدّم في سورة العنكبوت وأخّر في سورة غافر، والمقدم له الأهمية في منهج القرآن لغاية إعجازية أو قيمة تربوية، فقارون من أقارب موسى، فتوجه الخطاب إليه أولاً، ثم لمّا كانت سورة العنكبوت اعتنت بذكر الابتلاء حيث قال الله تعالى:

(الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَـٰذِبِينَ) سورة العنكبوت الآيات 1 – 3.

---

[1] انظر سورة القصص الآيات من 1 - 42

2 ينظر أحمد نوفل، تفسير سورة القصص، ص 407

[3] إبن عاشور، التحرير والتنوير، ج21، ص 250

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

وقد كان للنبي – صـــلى الله عليه وســـلم – معاناة مع قومه وأبناء عمومته، فكانت هذه الآية تســـلية للنبي – صلى الله عليه وسلم - ، وتذكير له بما حدث للأنبياء السابقين -عليهم السلام-، أو لأن حال قارون أوفق بحال عاد وثمود فإنه كان من أبصـر الناس وأعلمهم بالتوراة ولكنه لم يُفده الاستبصـار شـيئاَ، كما لم يفدهم كونهم مستبصرين[1].

أما ســر التقديم لفرعون على قارون في ســورة غافر ذلك أن الدعوة موجهة إليه، وهو رأس البلاء والكفر، وقارون وهامان يتبعونه في المنهج والسلوك (قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ) سورة غافر الآية 29.

فهذه المواطن التي ذكر فيها قارون كلّها دلائل على العتو والظلم، والتبعيّة لفرعون ومنهجه، فهو شـخصـية تميّزت بالتكذيب لموسى، والاتهام له والتعالي على الآخرين، فهذه الشخصية لا نلمس منها في جميع لقطاتها الحسية والمعنوية شيئاَ من الفضيلة والخير، فأدت دوراً تبعياً يكرّس الظلم والادعاء الكاذب ورفض الحق، والاستغناء بالدنيا ومتاعها، فكلها محطات من الفساد والإفساد.

المطلب الثاني: بناء شخصية قارون في القصة القرآنية

تعد شـخصـية قارون من الشـخصـيات التي جسدها القرآن، واوضـح معالمها، الشـخصـية الغنية المتعجرفة الممتلئة بالأنا، والتي صـدرت في قراراتها عن تصـورات فكرية ملتوية ونفسـية قاتمة ومظلمة، تحتدم فيها وباءات الكبر، وحب البغي والتســلط والانطلاق من قاعدة المواجهة والتحدي للطرف الآخر الذي يمثل الاعتقاد الصحيح والنفسية المؤمنة المضيئة.

المقدمة التي رسمت فيها الآيات شخصية قارون وحملتها بصيغة التأكيد، أنه كان من قوم موسى ووليد البيئة ومسيرات التغيير التي بعثها موسى -عليه السلام- في بني اسرائيل، فالوشائج والقرابات واضحة المعالم في شخصية قارون، والالتواء في شخصية قارون هو آتٍ من ناحية البغي المطلق الذي لم يوضحه القرآن ولم يُبن عن ماهيته، وإنما كان منهج القرآن قد رســم لنا وصــفاً دقيقاً يحمل في طياته معانٍ ودلالات ذات أبعاد كثيرة، تشابكت فيها القيم العقلية والناحية النفسية في شخصية قارون مما حقق انسجاما وتوحداً في شخصيته من الناحية العقلية والناحية النفسية.

قال الله تعالى: (وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ) سورة القصص الآية 76.

إن مدلول الكنز يوحي بالكثرة؛ لان الإنســان لا يمكن ان يكنز إلّا إذا زاد المال بصـورة متكاثرة (والكنز هو المال المخبوء والمدخر الفائض عن الاســتعمال والتداول)[2] وهذا الكنز هو عطاء الهي ومنّة علوية، وليس حضيّة مجد، أو إرث تاريخي، إنما هو في كلّ المعاني يفضـي إلى أنه عطاء رباني، وتعداد المال وإحصـائه والاســتكثار منه ويوحي بالعطالة والبطالة، والاهتمام بقضــايا أخرى قد تنســف المعتقد وتوهي من عزيمة الايمان ودليل ذلك قوله تعالى : (وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ) سـورة الهمزة الآية 1، فإيحاء الهمز واللمز متولد عن نفسـية المسـتكثر من المال، ولم يكن من أهل العطاء والبذل سـواءً في متعلقات الجسـد أو النفس، ولربما يكون غنياً لا يزاول مهنة عضـلية جسـمية ولكن عنده التحسـس لأحوال الفقراء والمحتاجين؛ فإذا لم يتناول المجتمع منه فائدة فإنه يتجلى عندئذ عن نفسية مظلمة وعقلية ملتوية واللغة التصويرية التي سلكها النص في

[1] ينظر الآلوسي، روح المعاني, ج10، ص 363
[2] سيد قطب في ظلال القران, ج 5, ص 2710-2711

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

مواجهة عقليه ونفسية البغي المالي عند ذكر القرآن الكريم للفظة بغى عليهم (وذلك ليدعه مجهولاً يشتمل شتى الصور)[1].

وهذا التصوّر العقلي الصادر عن قيمة عقدية، ورد ذكره في القرآن المكي ليعطي دلالة في التصور الكلي العام المطلق عن قيمة المال وما هو ميزانه إذا خرج صاحبه عن ميزان العقل والنفسية المستقيمة، إذ المال تابع وليس أصلا في توجيه الإنسان وتوجيه طاقاته ومنهج سلوكه ودليل ذلك سليمان –عليه السلام- ملك الدنيا وذي القرنين كذلك، ولم يكن عندهما عنصر التعثر او الالتواء وإنما هي محطات للتقويم والنهوض الحضاري تكون في نفوسهم وعقولهم، وهذا أصل واساسٌ في بناء الشخصية. ولعلنا نجمل الانطلاقة في تصوير الشخصية الثرية الباطشة سر مجيئه في القرآن المكي وذلك لسببين:

الاول: لتعرية قيم الثراء الزائف الذي لا يستند الى عقلية ونفسية صحيحتين، وليكن درساً واعياً يتخذ المنهج المحسوس المصوّر، لأهل الاعتزاز بهذه القيم من قريش، وقد ضرب الله الامثال للمشركين في جميع أحوالهم بأمثال نظرائهم من الأمم السالفة فضرب في هذه السورة لحال تعاظمهم بأموالهم، مثلاً في حال قارون مع موسى وإن مثل قارون صالح لأن يكون مثلا لأبي لهب ولأبي سفيان قبل إسلامه في قرابتهم من النبي وإيذائهم له، وللعاصي بن وائل في إيذائه لخباب، وللوليد من المغيرة من التعاظم بماله وذويه، قال الله تعالى في شأنه : (ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا) سورة المدثر الآية 11، فإن المراد به الوليد بن المغيرة[2].

الثاني: توجيه الفقراء المتبعين للنبي – صلى الله عليه وسلم- للتصوّر الصحيح للعقلية الربانية التي تفهم قيم المال أنه وسيلة لا غاية، وأنه حاجة وليس هدف، وأنه عرض وليس قيمة، وقد ذكر البيضاوي في تفسيره عن أصل هذا البغي : (أنه طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم)[3]

ذكر الرازي في شأن هذا البغي جملة من الوجوه: ظلم الفقراء ولم يرعَ حق الإيمان ولا مودتهم مع كثرة أمواله، وقال الضحّاك: طغى عليهم واستطال عليهم بأمواله، وقال ابن عباس، تجبر عليهم وسخط عليهم، وذهب شهر بن حوشب: أنه استطال عليهم بالثياب، وقال الكلبي: هو الحسد لموسى وهارون – عليهما السلام-[4]

قال البقاعي في بغى: (وكان أصل "بغى" هذه: أراد، لكن لما كان العبد لا ينبغي أن يكون له إرادة بل الإرادة لسيّده كما نبّه عليه الله في كتابه (ما كان لهم الخيرة) سورة الأحزاب الآية 36، جعلت إرادته تتجاوز الحد وعدّيت (بعلى) المفضية إلى الاستعلاء تنبيها على خروجها عن أصلها)[5]، فكل هذه الاعتبارات العقلية والنفسية التي أفرزت استعلاءً وخروجاً عن الأصل؛ إنما كانت هي إرادة واعية عاشت الكِبر وتولت البغي، وانعتقت من ربقة الاحترام للآخر، واغترت بقيم صمّاء باهتة لا تجلب خيراً ولا تدفع شراً ولا تنصر مظلوماً.

ثم التأصيل الواعي المدرك لحقيقة الشخصية الظالمة التي انسجمت مع الشر وصرفت إرادتها العقلية والنفسية، ورشحها الفكري من ذكاء ودهاء ومنطق ووجاهة اجتماعية، شُخّص هذا الأمر وأعطي أوليّة في التوجيه بمنطق التقابلية والثنائية المبصرة التي تقوم على اسقاط الغاية العليا على هذه المحطات سواء

[1] المصدر السابق, ج 5, ص 2711
[2] ابن عاشور، التحرير والتنوير, ج 10, ص 174
[3] تفسير البيضاوي, ج 4, ص 303
[4] يُنظر تفسير الرازي, ج 25, ص 5, بتصرف
[5] البقاعي، نظم الدرر, ج 5, ص 517

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

الدنيوية او الأخروية، والفرح بصورته المعنوية (فرح الزهو المنبعث من الاغترار بالمال والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز والابتهاج بالملك والاستحواذ على المتاع. فالله ذكره لا تفرح فرح البطر الذي يُنسي المنعم ويُنسي نعمته وما يجب لها من الحمد والشكران، لا تفرح فرح الذي يستخف بالمال فيشغل به قلبه ويطير به لبّه، ويتطاول به على العباد)[1]، هذه التقابلية بين الدنيا والآخرة بلا إسراف ولا تقتير وبين الاحسان الذي يقابله الفساد، يصوّر المنهج القرآني التأصيل العميق لبناء القيم وكيف تعاملت البشرية من فجر التاريخ الى يومنا هذا معها.

وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية السليمة.

(إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ) سورة القصص الآيات 76،77.

بالرغم من هذا العرض الذي يحقق مقوماً عقلياً متميزاً، واستقلالاً حضارياً ووجوداً واقعياً لقيمة العطاء الإلهي في العرض والطلب، وتلبية الحاجة، مع عدم الإقصاء للآخر أو الإلغاء من خلال تجاوز الحد والبغي، وإلغاء اعتبارات الوعظ العقلي الذي يتجاوز العاطفة إلى المحسوس، والتصاق قيم الظاهر مع الباطن مع رسم صورة واقعية ذات دلالة منطقية تنسجم مع الفطرة والتشريع إلا أن الإجابة كانت ذات صبغة عقلية مقيتة، ارتقت إلي أعلى مقام التشريف العقلي الذي يمكن أن يصل إليه الإنسان وهي العلم والمعرفة فقال: (أوتيته على علم عندي) سورة القصص الآية 78، لكنها إجابة ذات دلالة كاذبة[2]، وإن تمنطقت بالعلم وتشرفت بالمعرفة، فالمعنى الأكيد أنها خرجت من عقل واعٍ ونفسية ذات انتظام؛ لكن الكبر وجرم الكفر أدى بها إلى المنطق الخطأ.

ويظهر لنا تقابلية بين الذين قالوا من أهل الإيمان و وصفهم الله: (وقال الذين أوتوا العلم) سورة القصص الآية 80، وبين شخصية قارون الذي قال: (أوتيته على علم عندي) سورة القصص الآية 78، مع الثنائية في الوصف للقيم من قبل أولي العلم، ومن قبل قارون؛ وصفهم قام على قيم ثابتة وهي رشح أكيد للعقلية الواعية والنفسية المنضبطة: الإيمان، العمل الصالح، الصبر، ثواب الآخرة.

قال سيد قطب معلقا على هذا المقطع: (فأما المتصلون بالله فلهم ميزان آخر يقيّم الحياة، وفي نفوسهم قيم أخرى غير قيم المال والزينة والمتاع وهم أعلى نفساً، وأكبر قلباً أن يتهاووا ويتصاغروا أمام قيم الأرض جميعاً، ولهم من استعلائهم بالله عاصم من التخاذل أمام جاه العباد وهؤلاء هم (الذين أوتوا العلم) العلم الصحيح الذي يقوّمون به الحياة حق التقويم)[3].

والله طرق باب المحسوس المدرك بلغة تصويرية عجيبة (أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) سورة القصص الآية 83. واعتدال العقلية والأوب بالعود إلى الله من خلال

[1] سيد قطب، في ظلال القران, ج 5, ص 2711
[2] ينظر فضل حسن عباس، تفسير القرآن المجيد, ج4، ص 1753
[3] سيد قطب، في ظلال القرآن, ج5، ص 2713.

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

اللغة التحاورية المنسجمة مع الواقع حيث قال الله: (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون) سورة القصص الآية 82، وخلاصة التهذيب العقلي والنفسي للشخصية في القصة القرآنية (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)سورة القصص الآية 83. تجنب الفساد، وعدم العلو، مع التركيز على قيم التقوى وما تحتويه هذه المعاني من إرادة واعية مبصرة تستند إلى إرث عقلي وعاطفة نفسية متوافقة مع هذه القيم.

ولا بد أن يعيّ المتدبر للقرآن الكريم إن دلالة مفسد غير دلالة فاسد. الأولى تفيد التكثير والمبالغة في الإفساد وأنه فاسد في ذاته مفسد لغيره، أما دلالة فاسد فربما يقتصر الإفساد على نفسه وذلك أن الزيادة في المبنى زيادة في المعنى وكلاهما اسم فاعل، لكان فاسد من الثلاثي ومفسد من الرباعي، أيضا دلالة (ولا تبغ الفساد في الارض) حيث قدّم الفساد، ولو قال: ولا تبغ في الارض الفساد لكان المعنى صحيحا؛ لكن هناك سر في التقديم والتأخير، في التقديم يفيض في تصوير الشخصية وكيف أنها قدمت قيم الفساد، وتنكرت للكون والإنسان والحياة، والأرض من الكون، والكون متوافق ومتناسق، وكلمة الارض تظهر سعة وامتداداً، رغم أنه أفسد في بقعة لكن هذا الامتداد يعطي دلالة تصويرية عن النفس والعقل في عظمة افسادها.

المبحث الثالث: منهج القرآن الكريم في مواجهة الشخصية الباغية

قد يأتي الاذى من داخل الصف المسلم وهو أشد على الأمة المسلمة من الأعداء الذين هم خارجها، (فقارون من قوم موسى فصار عدواً له ولأتباعه ، فأمره أغرب من أمر فرعون)[1]

فالنص القرآني أراد التأكيد على أن قارون من قوم موسى ولم يقل من بني إسرائيل إيمانا بالقرابة بينه وبين موسى -عليه السلام-[2]

فالمجتمع المسلم إذا كان محصناً من الداخل فإن الاعداء يكون خطرهم بسيطاً، أما إذا حصل اختراق فإن الحصون تتهدم، وأركان الدولة تتحطم، لذلك كان خطر المنافقين أشد على المسلمين من خطر الأعداء المحاربين، وقد أشار القرآن الكريم في سورة البقرة لذلك عندما عالجت قضايا النفاق والمنافقين بثلاثة عشرة آية تتحدث عن المرض الجرثومي الذي يبثه المنافقون[3]، فكانت هذه الآيات رسائل لكشف مساوئهم، ودسائسهم في حق المجتمع المسلم.

المطلب الأول: البناء العقدي المتين للفئة المؤمنة

تشكل في نفوس أتباع موسى - عليه السلام - قيم عقدية، ونموذج للمواجهة استعصى على قارون ومن معه ومن سار في ركابه، وتمثل هذا في النمط المؤمن الرائد.

عندما أسس للغة المواجهة لطغيان المال، وفكرة الاستعلاء، والبغي الجائر. (اذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) - سورة القصص الآية 76 -. والمراد بالقوم هم الذين امتلكوا الموعظة، أو قالوا مقولة

[1] ابن عاشور، التحرير والتنوير, ج20، مجلد 10، ص 176
[2] ينظر المرجع السابق ج2، مجلد 10، ص 176
[3] ينظر سورة البقرة من الآية 7 - 20

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

موسى على سبيل الاقتداء، ودلالة الإجماع والاجتماع[1]. بكلمة القوم توحي بقوة الاجتماع على مواجهة البغي والظلم الاجتماعي الذي تولى كِبَره قارون.

القيمة العليا لمواجهة قارون في الخطاب الجمعي هي (لا تفرح) هذه الكلمة فيها معاني قريبة ومعاني بعيدة وتحمل أوجه في الفهم الذي يبحثه الخطاب القرآني. الفرح في حد ذاته محموداً، لكنه هنا محمّل بدلالة البغي والاستهزاء والإيذاء والبطر والظلم[2]، فجاءت هذه العبارة الشفافة التي توحي بالمجال التذكيري الدعوي، فقالوه على سبيل النصح والإرشاد[3]

وقوله تعالى (لا تفرح) ولم يقل لا تبغي، أي لا تفرح بما أوتيت من مال وقوة واستمالة أصحاب النفوس المريضة، ولما ذكر المؤمنون الفرح جاء في نفوسهم أن هذا الفعل مستقبح عند الله سبحانه وتعالى وما يفعله قارون هو من الأفعال التي يبغضها الله، وأن الله سبحانه وتعالى لا يحب من كانت سجيّته الانكباب على ملذات الدنيا، والإعراض عن الحق، وعمل الآخرة. فهو فرح مذموم يحمل صاحبه على البطر والعجب[4].

أبان الناصحون لقارون عن منهج بناء الغايات في الاقوال والاعمال، إذ ينبغي ان تكون لله، فإذا تجرد العبد من غايته وأصبح نهباً للأهواء والملذات فإنه ينقاد إلى البغي المفضي إلى الكفر والفساد.

وأمر آخر يوحي بمتانة البناء العقدي عند المؤمنين الذين واجهوا قانون الباغي هي أن الدنيا مطيّة للآخرة، فكل الموجودات هي وسائل للغاية الكلية التي هي هدف المؤمن وغايته في النجاة من النار ودخوله الجنة[5] ، ورضا الرحمن، كلها قيم ركزت في نفوس أتباع موسى لغة المواجهة في الخطاب مع قارون؛ إذ تجلّى توصيفاً وبناء محكم الأركان في لغة الخطاب بأن الذي وهبك المال، وأعطاك القوة هو الذي ينبغي أن تشكره وتذكره وتعظم أمره بالاستجابة له، وعدم إتيان ما يبغض بفرح يؤدي إلى معصية ودنيا تلغي الآخرة (وابتغِ فيما أتاك الله الدار الآخرة) سورة القصص الآية 77.

قال الزمخشري: (بأن تفعل فيه أفعال الخير من أصناف الواجب والمندوب إليه وتجعله زادك إلى الآخرة)[6]

المطلب الثاني: الوسطية والاعتدال في التعامل مع الواقع

المنهج الرباني يقوم على الموائمة بين متطلبات الجسد وحاجات الروح، فلا هو يهمل الجسد، ولا يجعل الروح تطغى على حاجات الجسد فهو يراعي حاجات الإنسان الطبيعية والفطرية، ومنهج الرعاية والاستخلاف (إني جاعل في الأرض خليفة) - سورة البقرة 30-. ومن مظاهر الاستخلاف القيام بشؤون الدنيا، وعمارة الأرض، وتحقيق العبودية لله تعالى في العقيدة والشريعة (وما خلقت الإنس والجن الّا ليعبدون) - سورة الذاريات 56 -.

[1] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم, ج3، ص 530
[2] ينظر الزمخشري، الكشاف, ج3 ، ص 334، وينظر ايضا الطبري، تفسير الطبري, ج1، ص105، وينظر أيضا المهدوي، التحصيل , ج5، ص 164)
[3] ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز, ج4، ص 199, وايضا ابن كثير، تفسير القرآن العظيم , ج3، ص 530.
[4] ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير, ج10، ص 178
[5] ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن , ج7، ص 288
[6] الزمخشري، الكشاف , ج3، ص 434

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

فالمنهج الذي عرضه أهل الإيمان من أتباع موسى لقارون (ولا تنسَ نصيبك من الدنيا) - سورة القصص 77 -، وهو أن يأخذ ما يكفيه ويصلحه[1]، ولا يضيّع حظه من الدنيا في تمتعك بالحلال وطلبه، ونظرك لعاقبة دنياك[2].

فالمؤمنون أرادوا في بيانهم وحوارهم وموعظتهم أن يبينوا أن هذا المال وسيلة جليلة للتمتع بالزينة التي أخرجها الله لعباده (قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) سورة الاعراف 32 بحدود الاعتدال والوسطيّة، بحيث لا يخرج المال الإنسان عن واقع الوسط المعتدل الذي لا إسراف فيه ولا تقتير.

هذه الركائز الإيمانية التي تداعت في حوارات أهل الإيمان من أتباع موسى لقارون إنما قامت وتشكلت وفق المنهج الرباني الذي يراعي فطرة الإنسان، ووجوده على هذه الأرض، فالله عندما خلق الإنسان جعل فيه غرائز وحاجات، وهذه الغرائز والحاجات لا بد أن تلّبى، وتسير وفق منهج الفطرة، والحاجات الطبيعية التي تتوافق مع أصل الخلقة التي خلق الله عليها البشر.

وجّه المؤمنون قارون لقيمة جليلة كريمة تقوم على العدل والإحسان فالله عندما أوجد الإنسان على هذه الأرض لم يكن له ملكاً ولا كسوة وكان عالةً على غيره، فحباه الله بالقوّة والعقل وأعطاه الملك وأبان له سبيل الرشاد. فهذا الملك المتوافر لدى العبد إنما هو إحسان من الله، فذكرته الطائفة المؤمنة بموجب الحق والالتزام (وأحسن كما أحسن الله إليك) سورة القصص الآية 77، الإحسان فعل الأفضل والأكرم، وهو أن يشكر الله على كلّ نعمة من جنسها[3]، فذكروه بأمر معلوم لديه وهو إحسان الله فأد واجب الإحسان الذي أعطاك الله إياه، ولا تكن مجافياً للحق مجانباً للرحمة، أحسن الى عباد الله بالعطاء، أو أحسن بالطاعة والشكر لله كما أحسن إليك بالإنعام[4]

المطلب الثالث: محاربة الفساد

بعد أن أدى المؤمنون واجب الوفاء في عرض قيم الصلاح والخيريّة، بخطابهم الواعي الذي يقوم على اللطف والرقة في الموعظة، اظهروا لقارون الشر المستقبح الذي لا يحبه الله ولا يرضاه وهو الفساد.

وكأنهم أوضحوا له مسيرة الإصلاح والصلاح أولاً ثمّ حذّروه من الفساد الذي يهلك الحرث والنسل، وعظموا في خطابهم دلالة الفساد أن ينبسط على الأرض، وأن الله يبغض أهله؛ وفيه توجيه مباشر معلن أن واقع قارون كان فاسداً فأستحق المواجهة والتبكيت والنيل من هيبة ظلمه وفساده.

المطلب الرابع: الفهم الجاهلي وإشكاليته ومواجهة أهل العلم له

العلماء هم ورثة الأنبياء، وآفاق العلماء تتسع لفهم المنهج الرباني وإيجاد الحلول، ووضع الأمور في نصاب المنطق الصحيح، وإزالة المبهمات وحل الإشكالات، فالعلماء يصححون المفاهيم، ويؤصلون وجوه البيان، وتقدير الأمور برويّة إيمانية تقوم على الدرس الرباني الذي يؤسس للحق ولا يزيغ في القيم والمقادير.

عندما استشرف أهل الدنيا زينة قارون، وجمال الثياب والهيئة والمنظر، وقعت في قلوبهم وعظموها، وامتدحوا قارون وزينته، وتشبعت قلوبهم بهذا المنظر، ووقع في نفوسهم القول مع الفعل أن العلم والدراية

[1] ينظر الزمخشري، الكشاف, ج3، ص 435
[2] ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز, ج4، ص 299
[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير , ج10، ص 179
[4] الألوسي محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني,, ج10, ص 318

المجلة الدولية للبحوث والدراسات الإسلامية
International Journal of Research and Islamic Studies
ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

المكذوبة عند قارون هي التي أدت بأن يكون عنده هذه الأموال والزينة والرياش، وهو خطأ في الفهم، وإشكالية في الاعتقاد فقدم أهل العلم بياناً ممنهجاً يقوم على الربانية (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون) سورة القصص الآية 80. كان هذا البيان بعد أن أعلن ضعاف النفوس، وأهل الدنيا ممّن ضعف يقينهم (قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) سورة القصص الآية 79. فأعاد العلماء الذين أنبت الله في نفوسهم دلائل التقوى وعمّر أفئدتهم باليقين وألسنتهم بالهداية ورد القيم إلى أصولها، والمباني إلى أعرافها، فأرشدوا عن الدنيا وحقيقتها، والآخرة وطريقها إنما يكون بالإيمان والعمل الصالح والصبر الذي عاقبته الثواب والأجر من الله.

فالعالمون الذين وعظوا قارون كانوا عالمين بأحوال الدنيا والآخرة؛ وذلك لعلمهم بأحوال النشأتين وتوجيه الخيريّة لثواب الله الذي يترتب عليه دخول الجنة والنجاة من النار والسعادة في الحياة الدنيا؛ اذ وصف الأمر بالخير الذي هو من جوامع الكلم، وبه ينال المؤمن فضل الدنيا، وكرامة الآخرة[1]. هذا أفضل من الزينة البائدة التي تحلّى بها قارون، وبغى بها على الناس، واستجلب نفوسهم حتى قالوا عنه: (إنه لذو حظ عظيم) سورة القصص الآية 79.

المطلب الخامس: العقاب الربّاني

العقاب الربّاني سنّة في كلّ من تعامل مع منهج الله بالكفر والبغي والتعالي، فالله سبحانه وتعالى يرسل الرسل ويوضح للمكلفين الحقائق فإذا أعرضوا ومضوا في عتوهم نزل بهم العذاب.

وهذه الشخصية الطاغية قارون لما استعصى التوجيه والنصيحة تقرر عليه العذاب الإلهي وذلك لما أظهر الفساد في الأرض فخسف الله به الأرض وأمواله، فلم يكن هناك مانع يمنع عنه العذاب[2]

ثم حسم الله نتيجة هذا الظلم والطغيان بالهلاك، فأدرك أهل الأمنيات حقيقة الدنيا والسعادة الحقيقة، فالدنيا بأموالها ليست مقياساً على منزلة الإنسان ورفعته عند الله، فلعلّ الله يزويها عن بعض الناس ويعطيها لآخرين، ولا يعدّ ذلك مقياساً على الرضا والقبول[3]. قال تعالى: (وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) سورة القصص الآية 60.

فهذه الآية الكريمة بينت عن نتيجة الغرور وما يعقبه من هلاك، وهذا قارون لما اغتر بماله وادعى أنه أوتي المال على علم عنده لم تعصمه هذه الأمنيات والادعاءات من عذاب الله، كما لم تعصم فرعون، أولستم أيها المشركون بأكثر عدداً ومالاً من قارون وفرعون، فلم ينفع فرعون جنوده ولا قارون أمواله، وقرابته من موسى، فأهلكهما الله وهو قادر على إهلاككم أيها المشركون فلا تغتروا بشيء من أشياء الدنيا وزينتها[4]

[1] ينظر أبي السعود محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم , ج7، ص26
[2] ينظر القاسمي محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ج8، ص 3185
[3] المصدر السابق, ج8، ص 3185
[4] ينظر القرطبي, الجامع لأحكام القرآن, ج 13, ص 284

ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

أهم النتائج التي توصل لها البحث:

1- إبراز الواقع النفسي والقيمي لشخصية قارون، وخصائصها، ومنهج تعاملها

2- ظهور منهج القرآن الكريم ووضحه في مواجهة الشخصية الباغية

3- إبراز القيم الحقيقية التي ينبغي ان يعتز بها الإنســـان، وهي محل احترام وتقدير وبقاء مثل ثواب الله وميراث الآخرة وغيرها .

4- وجود منهج قرآني حضـــاري متكامل العناصـــر في التعامل مع الأحداث والوقائع، وحل المشـــكلات ومواجهتها

5- بلاغة الكلمة القرآنية وقوتها في توضـيح المعالم الحقيقية وتشـخيص الواقع في بناء القصـة وتسـلسـل أحداثها، وعوامل بناء الحضارات وهدمها، وأنها تمتلك منهجاً كلياً في الإصلاح ومواجهة الفساد.

المصادر والمراجع

1. ابن عاشور، محمد الطاهر، ت 1393هـ، **تفسير التحرير والتنوير**، د.ط، دار سحنون، تونس، د.ت.
2. ابن كثير، اسماعيل، ت 774هـ، **تفسير القرآن العظيم**، اعتنى به احمد عبدالسلام الزعبي، ط1، دار الارقم، بيروت، 1982
3. ابن منظور، محمد بن مكرّم، ت 711هـــ، **لسـان العرب**، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
4. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ت 951هـ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، د.ط، دار إحياء التراث، بيروت، د.ت
5. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ت 538هـــ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط3، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ
6. أحمد نوفل، **تفسير سورة القصص**، ط3، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، 2015.
7. احمد، سعد أحمد، **نحو نظرية إسلامية في الشخصية**، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، اربد.
8. الأزهري، محمد بن أحمد، ت 370هـــ، **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق رياض زكي مبارك، ط1، دار المعرفة، بيروت، 2001.

ISSN: 2708 – 7883 Online ISSN: 2708 – 7891

9. الآلوسي محمود، ت 1127هـ ، د.ط، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية بيروت، 2009
10. البقاعي، إبراهيم بن عمر، ت:885هـ، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1995.
11. البيضاوي، عبدالله محمد الشيرازي، ت:791هـ، **تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1996.
12. الرازي، محمد عمر، ت 604هـ، **تفسير الفخر الرازي**، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط3، دار الفكر، بيروت
13. الراغب، الحسين بن محمد، ت 425هـ، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق رضوان داوودي، ط3، دار القلم، دمشق، 2002.
14. سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط9، دار الشروق، بيروت، 1980.
15. الشويات، عدنان مصطفى، خطاطبة، آمنة، **مقومات الشخصية الإسلامية المعاصرة في فكر مالك بن نبي وتطبيقاتها التربوية**، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، اربد.
16. الطبري محمد بن جرير، ت 310هـ، **تفسير الطبري**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992
17. فضل حسن عباس، **تفسير القرآن المجيد**، ط1،جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، 2017.
18. القاسمي محمد جمال الدين، ت 1332هـ، **محاسن التأويل**، ط1، دار الفكر، بيروت، 2005.
19. القرطبي محمد بن أحمد، ت 610هـ ، **الجامع لأحكام القرآن**، د.ط، دار الفكر، بيروت، 1995.
20. محمد قطب، **منهج التربية الاسلامية**، ط6، دار الشروق، بيروت، 1982.
21. المهدوي، احمد بن عمار، ت 440هـ، **التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل**، تحقيق دار الكمال المتحدة، ط1، إصدار وزارة الاوقاف، قطر، 2014.